**محاضرة 7 - 1**

**5 - عـبادة الحـيوانـات :**

####  كان للحيوانات مكانة هامة عند الإنسان منذ أقدم العصور لاعتماده عليها في مجالات عديدة فأضفى على أنواع منها طابع القداسة، و عمل على حمايتها والتقرب منها و عبادتها.

 و لا يسـتبعد أن تعود البدايات الأولى لهذه الظاهرة ببلاد المغرب القديم إلى مرحلة الجمع و الالتقاط، ، ثم تجذّرت عبادة بعض الحيوانات التي تم تدجينها كالأغنام و الأبقار خلال المرحلة التي كان فيها الصيد و الرعي قوام حياة الإنسان في المنطقة ، والتي امتدت حتى العصر الحجري الحديث رغم بعض مظاهر الإنتاج الزراعي المحدودة(1) ، و لا شك أن الأسباب التي مـن أجلها عبد المغاربة القدماء أنواعا من الحيوانات مثل الكبش و الثور و القرد و الثعابين أو غيرها كانت متباينة ، يأتي في مقدمتها اعتمادهم على بعضها في معاشهم ، أو لأنهم اعتبروها مزودة بوسائل عضوية لا يستطيعون امتلاك ما يماثلها ، كالقوة و المهارة ، أو لأنها تبدو لهم تملك في ذاتها قوة خفية(2) ، أو لأن المقدس في اعتقادهم اختارها كسكن له(3).

**أ - عبـادة الكـبـش :**

 لقد أدى انتشار الرسوم و النقوش الصخرية للكباش التي تحمل على رأسها دائرة مع زوائد أخرى في الصحراء و شمال المغرب القديم ، و إشارات الكتاب القـدامى إلى تعـدد الدراسات حول هذا الموضوع كما تباينت الآراء حوله ، و قد طرحت بشأنه تسـاؤلات كثيرة لعل من أهمها : ما مجال انتشار الشواهد الدالة عليه في المنـطقة و ما تـأريخها، و إلى ماذا كان يرمز، و هل كان الكبش ذو الهالة معبودا أم أنه كان موجها للتضحية ، و هل هو أصيل بالمنطقة أم يرجع إلى أصول مصرية ، و ما أشكال استمرار عبادته بالمنطقة ؟

يلاحظ أن الرسوم و النقوش الصخرية للكباش ذات الهالة تغطي كامل المنطقة المغاربية فهي تنتشر في ثلاث مجموعات رئيسية :

أ - الصحراء الشرقية : بفزان و طاسيلي ناجر والشريط الشمالي الغربي من تبستي .

ب - الجنوب الوهراني : في كل من بوعلام زناقة ، قصر زكار ، أفلو ، و كذلك في مواقع بالجلفة

 منها عين الناقة و الصافي بورنان .

ج - بشرق قسنطينة : في خنقة بوحجار و كهف تاسنغة و الشافية (4) .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) الناضوري رشيد ، تاريخ المغرب الكبير ، ج 1 ، ص. 124 .

(2) - Dussaud Réné , Introduction à L’Histoire des Religions , Leroux , Paris , 1914 , PP. 22 - 23.

(3) . 253 P. - Decret ( F. ) et Fantar ( M. ) , Op - Cit., (4) – Leglay ( M. ), Op – Cit. P. 422 .

 أما في الصحراء الوسطى فقد كان هـ. لوت قد استغرب غياب رسوم الكباش المتوجة بها إلا أن اكتشاف موقع قرات أم المنصور ( Garat umm El- Mançour ) في ايهرن ( Iheren ) بالصحراء الوسطى قد غطى ذلك الفراغ (1 ) .

 أما تأريخ رسوم و نقوش الكباش المتوجة فهي عموما تتراوح حسب اختلاف آراء المؤرخين بين أوائل و أواخر العصر الحجري الحديث ( 2).

 و قد أدى غموض تلك الشواهد إلى تعدد الآراء حول رمزية الكبش المرسوم بدائرة أو قرص على رأسه مع ترك بقع من الصوف على الكـتفين أو في وسط الظهر (3) ، فانتشار الرسوم - كما يرى البعض - يمثل الحضور الدائم لأداة العبادة ، أما الكبش المقدس الحقيقي(4) ، فلم تكن مشـاهدته في متناول الجميع بل يسمعون فقط عن معجزاته التي ينسجها حوله الكهنة الذين يحـضون بشرف مشاهدته(5) ، كما يذهب س. جزيل إلى أن أكثر من قبيلة كان لها كبشها أو كباشها المقدسة(6).

و يظهر أن الكباش ذات الهالة كان يتم فيها التركيز على على الشكل الكروي الذي يرمز إلى أحد الكواكب ، و ما التقاء القرنين في بعض الرسوم إلا من أجل هدف أقـوى هو التوصّل إلى تصوير الشكل الكروي(7)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) – Lequellec ( J. L. ), Op – Cit., P.154.

(2) – Camps( G. ), Berberes aux Marges …, P. 202 .

 حسب رأي ريجاس ( Reygasse . M. ) فإنه يمكن إرجاع الرسوم الصخرية للجنوب الوهراني إلى العصر الحجري القديم الأعلى و ذلك اعتمادا على خصائصها الفنية ، و هو رأي يميل إليه أيضا فلامون ( Flamand ) استنادا إلى أن تلك الرسوم أقرب في شكلها إلى الطبيعة و أصول الفن ، أما جولود ( Jellaud ) فحدد تاريخها بالفترة بين 9000- 7500 ق م ، و كذلك الشأن بالنسبة لكباش تمنطيط بإقليم توات بالجـزائر و تازروك بالهقار فهي تتزامن مع الصناعات الحجرية التي تؤرخ بالفترة بين 9500- 7500ق م ، كما وضع جولود زمنيا كبش ناحية الطوارق أيضا ما بين 9500- 7500 ق م بناء على تميّزه من الناحية المورفولوجية فهو انتقالي بين العنزة و الكبش ، و بدوره أقر ريجاس منذ 1932 بأن الرسوم الصخرية تعود للنيوليتيكي الصحراوي الذي يمكن تحديده زمنيا بين 6000-5000 ق م . حارش محمد الهادي ، دراسات و نصوص ( في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب القديم )دار هومة ، ط .1 ، الجزائر ، 2001 ، ص ص . 22 – 23 .

 (3) غانم محمد الصغير ، " بعض من ملامح الفكر الديني... " ، ص. 63.

(4) يندرج هذا التصوّر ضمن تفسير ينطلق من مصطلح " سيد الحيوانات " الذي كان الأنثروبولوجي ليو فروبينيوس أول من أطلقه في معرض

 وصفه لطقوس الصيد عند قبيلة المحاليبي في الصحراء الإفريقية ، فكان الجاموس " سيد الحيوانات " يمكّن أفراد القبيلة من صيد الطرائد لذلك يدعونه " الأب الجاموس " و يعبدونه ، ثم عمّمت الفكرة ، فالحيوان ثورا كان أو كبشا أو غيرهما الذي يعتبر " سيد الحيوانات "هو النموذج

 الأعلى البدئي لذلك النوع من الحيوانات ، فهو يمثّل الفكرة الأفلاطونية للنوع لأنه يمتلك بعدا لا يملكه بقية أفراد القطيع ، فهو لازمني خالد كفكرة و لا يمكن القضاء عليه لأنه يعبّر عن الجوهر الذي تخلق منه بقية أفراد نوعه . السواح فراس ، دين الإنسان... ، ص ص . 132 – 134 .

 (5) – Decret ( F.)et Fantar ( M.) , Op – Cit., P. 254. (6) – Gsell ( S. ), H. A. A. N., T.6, P.124 . (7) الخطيب عفراء ، الثالوث الكوكبي المقدس... ، ص 140 .

 أما الاختلافات التي تلاحظ بين مختـلف رسوم و نقوش الكباش ذات الهـالة فترجع إلى الأفراد الذين رسموها و لكن بهـدف واحد هو إبراز الشكل الكروي الذي لا يوضع إلا على رؤوس الحيوانات التي حظيت بالتقديس مثل الثيران و الكباش.(الشكل 8 ، أ، ب، ج. ص.71)

 و إذا كان أغلب الدارسين قد أجمعوا على أن تلك الأشكال ترمز لأحد الكواكب فإن الإختلاف بقي سائدا بينهم هل المقصود به الشمس أم القمر ، و هو أمر ليس من السهل الجزم فيه برأي(1) .

 أما عن الهدف من تلك العبادة فهي في رأي البعض موجهة لضمان نمو و ازدهار القطعان بما يمثّله القرص من عبـادة الشمس و الخصوبة المرتبـطة بها ،خاصة أنه تم تبـنّيها من طرف الرعاة مربي الماشية(2)، و يؤكد هذا ما يذكره (هيرودوت) من اتساع انتشار عبادة الشمس بين المغاربة القدماء(3) كما لا تستبعد بعض التعليلات ارتباط هذه العبادة بفكرة استنزال المطر إلى جانب فكرة الخصوبة و ذلك تجاوبا مع حالة الجفاف التي أصبحت تعرفها المنطقة ، ومما يسند هذا أن " أ . م . ن " في اللهجات الأمازيغية تعني الماء ، أو يمكن أن يعني السماء التي تسبح في فضائها الشمس التي ينزل منها المطر المخصّب(4) .

أما حول ما إذا كان الكبش ذو الهالة معبودا أو موجها للتضحية ، فقد اعتبرته فئة من الباحثين معبودا استنادا إلى ظهوره إلى جانب الثيران في العديد من مقابر عصور ما قبل التاريخ في المنطقة الممتدة من جنوب المغرب حتى النوبة مرورا بفزّان(5) ، إلى جانب وجود أشخاص يظهرون في الرسوم - بغض النظر عن التفاصيل بين موقع وآخر- بأن لهم صلة بالكباش المتوّجة(6) ، منها تلك التي تظهر شخصا رافعا يديه فيما يشبه حالة التعبد للمعبود الموجود معه الذي هو الكبش(7).( الشكل 8 ، د، ص.71 )

 ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

 (1)– Germain ( G. ) le Culte du Belier en Afrique du Nord, Hesperis, 35 , Paris, 1948,P. 98.

(2) – Gsell ( S. ), H. A.A.N. , T.6, P. 226.

(3) – Herodote , IV, 188 .

(4) غانم محمد الصغير ، " بعض من ملامح الفكر الديني... ، ص . 64 ؛ و يذهب المؤرخ اللاتيني سرفيوس ( Servius) في هذا الشأن إلى أن

 اسم أمون في الإغريقية مأخوذ من الكلمة أمنوس (Amnos) التي تعني الرمل ، و أن الكلمتان في اللاتينية ( Arles) أي الكبش و (Arena)

 أي الرمل متقاربتان . انظر للمزيد . Lequellec (J. L. ) Op – Cit., P. 159.

 (5) – Germain ( G. ), Op – Cit., PP. 94-101.

(6) انظر للمزيد من التفاصيل : - Camps ( G. ), le Bélier à Sphéroïde. Gravures Rupestres de l’Afrique du nord,

 Encyclopédie Berbere, IV, 1991, PP. 1417- 1433. (7) – Decret (F. )et Fantar (M. ) , Op – Cit., P. 253.

 و في مقابل هذا يذهب(ج. كامبس) إلى أن تحليل مجموع مشاهد الكباش ذات الهالة لم تكن آلهة لأنها في أغلب الحالات تتبع رجلا يظهر في و ضعية تضرّع و نتيجة لذلك يعطيها ظهره ، و هذا ما يدفع إلى التفكير بأن العـبادة كانت موجهة إلى ذات أخرى ، و لم يكن الكبش إلا أضحية مزيّنة بالقرص و الحلاقة و العقد لكي يقدم كقربان للإلـه(1).

 و في الفترة التاريخية تشير وثائق كثيرة أثرية وكتابية إلى استمرار عبادة الكبش ، منها أن أمون يدخل في تركيبة أسماء عدة مجموعات بشرية بالمنطقة المغاربية و منها الجرامنت و النسامون(2)، كما وضعت وجوه (Figures ) تمثل رأس هذا الحيوان في القبور بقرطاجة(3) ، كذلك تم العثور على نصب نوميدية في العديد من المواقع مثل القنطرة (El kantara) و الجهرة (El gahra )و في لامبيز(Lambes ) و في خميـسة ( Khamissa ) تمثل تلك النصب كباشا يمتطيها أصحاب الإهـداءات(4).

 أما النصوص حول عبادة الكبش فكلها متأخـرة زمنيا ، لعل أولها يعـود إلى القرن الرابع الميلادي عند (القديس أثناسيوس)Saint Athnasius) (الذي عاش في الإسكندرية و أشـار إلى أن اللبيين كانوا يعتبرون الكبش إلها و يسمونه (أ.م. ن)(5)، كما يورد المؤرخ (ماكروبيوس) ( Macrobius ) بدوره أن الليبيين ينعتون الكبش بالإله أمون(6) ، ثم تأتي إشارة من (البكري) في القرن الحادي عشر بعد الميلاد إلى وجود هذه العبادة جنوب المغرب الأقصى حاليا بقوله : " ويلي بني لماس قبيل من البربر في جبل وعر مجوس يعبدون كبشا لا يدخل أحد منهم السوق إلامستترا "(7) .

 نخلص مما سبق إلى أن رسوم و نقوش الكباش المتوجة تغطي شمال المغرب القديم و الصحراء، كما أنها قديمة بالمنطقة، و قد جاء التركيز فيها على الشكل الكروي الذي يرمز إلى أحد الكواكب بهدف الخصوبة و نمو القطعان و استنزال المطر، إلا غياب النصوص يبـقى التساؤل مطروحا بين أن تكون تلك الكباش المتوّجة آلهةكانت تعبد أم قرابين للآلهة ، أو حيوانا اختاروه من بيئتهم يرمز إلى إله ما .

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) – Camps (G. ), Berbères aux Marges…, PP. 202 - 203.

(2) – Lequellec (J. L. ), Op – Cit., P.160.

 للمزيد من التفاصيل انظر . محمد سليمان أيوب ، جرمة ، من تاريخ الحضارة الليبية ، دار المصراتي للطباعة و النشر، ط1 ، طرابلس ، 1969، ص . 180 .

(3) – Picard ( G. Ch. ), les Religions…, P. 11.

(4) – Leglay (M. ), Op – Cit., P. 421 – 422.

- Athanasius Saint , Contre les Paiens, 24, Edit de Thomas Camelot, 3èe ed, Paris, 1983 . (5)

(6) غانم محمد الصغير ، " بعض من ملامح الفكر الديني... " ، ص . 63 .

(7) – Abou-Oubeid-El Bekri , Op – Cit., P.305 , 161.

   

 **أ ب ج**

 **أ: كبش متوّج من موقع سيدي بوبكر، ب : من موقع قلموز العبيود ، ج : كبش بوعلام زناقة .**

 **- المرجع : الخطيب عفراء ، المرجع السابق ، ص . 137 .**



 **د : نقش صخري بموقع فجة الخيل ( الجنوب الوهراني )لكبش متوّج بقرص و يحمل**

 **عقدا في رقبته ، يقف أمامه شخص رافعا يديه فيما يشبه حالة التضرع ويدير ظهره للكبش .**

 **- المصدر : - Vauffrey ( R . ), Préhistoire de L’Afrique , T.1 ( Le Maghreb ), Librairie Masson et Cie , Paris, 1955, P. 347 .**

 **- الشكل رقم 8 : نماذج من كباش متوّجة ( ذات الهالة ) مع لواحق أخرى** .